

الفصل الثالث عشر

تحضير رسالة الدكتوراه

الفصل الثالث عشر يتضمن ثلاثة أقسام: ١- التحضير لكتابة رسالة الدكتوراه. ٢- جولة ميدانية لإستكمال المعلومات. ٣- نيل شهادة الدكتوراه ١٩٧٤.

التحضير لرسالة الدكتوراة

في ربيع ١٩٧٢ استقرت أوضاعي في درم، وهدأت من حولي الاحداث وخفت وتيرة تلاحقها وضغوطها. تجاوزت الخلاف مع المشرف وتم تحويلي الى دراسة الدكتوراة مباشرة دون حاجة للحصول على درجة الماجستير، لأن بحثي يرقى إلى مستوى رسالة دكتوراة. ووضعت زوجتي مولوداتها بالسلامة وسعدنا بقدوم ضحى التي ملأت حياتنا بهجة وحيوية. وأخيرا تغير الحاكم في قطر وتم وضع نهاية للعقوبات التي نالت مناصرين حركة ١٩٦٣، والتي نالني منها نصيب بعد أن حتمت علي السلطة السير في اتجاه إجباري وعر، تجاوزته بفضل الله وحب الأهل والأصدقاء واحترام الناس.

بدأت في شهر أبريل ١٩٧٢ بعد أجازة عيد الفصح، التحضير لكتابة رسالة الدكتوراة. وضعت مخططاً نهائياً وعرضته على المشرف، وبعد التشاور معه بدأت استكمل ما ينقصني من معلومات تتعلق بنمط تخصيص عائدات النفط في كل أمانة تشملها دراستي. وهذه المعلومات موجودة في الحسابات الختامية للميزانيات العامة وفي حساب الاحتياطي العام لكل أمانة، ان وجد.

ولحسن حظي وجدت تقارير سنوية كانت تصدرها حكومة البحرين منذ عام ١٩٣٤، ووجدت في درم الحسابات الختامية للميزانية العامة في قطر للفترة من ١٩٥٠-١٩٥٣، كما وجدت بعض الحسابات الختامية للكويت. بدأت ارتب معلوماتها من أجل الوصول لنموذج احصائي أصنف فيه الايرادات وأحدد أوجه استخدامها كي اتوصل إلى نمط تخصيص عائدات النفط في كل أمانة.

اتصلت بزيملي عز الدين محمد عثمان الذي أصبح بعد نيله درجة الدكتوراه من درم رئيساً لجامعة السودان للعلوم والتكنولوجيا، وكان وقتها يحضر لرسالة دكتوراة في علم الحاسوب في درم، وطلبت مساعدته وإرشادي لمن يستطيع ان يصمم وينفذ لي برنامج كمبيوتر يحلل ويصنف الايرادات والنفقات العامة لكل امانة، لما يتوفر لدي من حسابات ختامية للميزانيات العامة.

كان علم الحاسوب الذي نعرفه اليوم في بدايته، واستخدامات الكمبيوتر في ذلك الوقت تتم من أجهزة مركزية وبواسطة بطاقات مثقبة تعد ثم تمرر على الجهاز، ولم يكن ذلك يسيرا. ولكنني وجدت أن تصنيف وتحليل المعلومات الخاصة بتحديد نمط تخصيص عائدات النفط يصعب القيام بها يدويا، فاستشرت الزميل وبمساعده ومعرفته استعنت بمختصين صمموا لي البرنامج الذي توصلت إلى النتائج من خلاله. وذلك عندما توفرت لدي فيما بعد حسابات ختامية للميزانيات العامة للامارات المدروسة.

حضرت مساقات حول المالية العامة، والميزانيات العامة، والتنمية الاقتصادية، والإدارة العامة في دائرة الاقتصاد، وزدت من قراءتي في المالية العامة وتحليل الميزانيات. وأعدت زيارتي لمكتبات جامعة درم لأتعرف على مزيد من المراجع النظرية والرسائل الجامعية المتاحة في درم والتي يمكن طلبها من خلال نظام الاستعارات بين المكتبات في كل أرجاء بريطانيا Inter-Library Loans، وقد فتحت لي زيارتي الثانية لمكتبات جامعة درم أفقا رحبا وأدخلتني إلى موضوع اقتصاديات الموازنات

العامه للدول، باعتبارها أداة للسياسة العامة ومحط الصراع الاجتماعي، ومرآة حرمة المال العام، ومؤشر درجة الرشد في استخدام المال العام لتحقيق الصالح العام.

وأذكر أنني كنت أقضي يوماً كاملاً أمام جهاز التلفزيون خلال شهر مارس أو أبريل في كل من أعوام الفترة ١٩٧٢-١٩٧٤، اتابع بمتعة ذهنية عرض وزير الخزانة البريطاني لميزانية العام التالي في مجلس العموم، بدءاً من دخوله بحقيبة صغيرة حمراء اللون تتركز عليها عدسات التصوير، وخلال عرضه كل بند في الميزانية حيث يقوم مختصون بتحليلات وحسابات اقتصادية واجتماعية لانعكاسات ذلك البند، ومن سيتحمل عبء الإيرادات اللازمة له ومن سيستفيد من أوجه أنفاقه، وما تأثيره على نمو وتطور الاقتصاد والمجتمع البريطاني.

ان يوم عرض الحساب الختامي للعام المنصرم وتقديم الميزانية التقديرية وعرضها على مجلس العموم البريطاني ومن خلاله على الشعب، هو يوم الحساب السياسي وكشف نوايا الحاكم للمحكوم بشكل موضوعي وشفاف، وهذا ما نفتقده في المنطقة العربية ونبوق الى معرفته.

ترحمت على أحوالنا حيث تكون الميزانيات العامة وحساباتها الختامية سرية، لكي لا يعرف الشعب من سيتحمل عبء إيرادات بند النفقة العامة ومن سيستفيد من انفاقها. واتضح لي سبب السرية وعدم الشفافية التي مازالت أغلب الميزانيات العامة في المنطقة تأخذ بها لتخفي أوجه تصرفها في المال العام وهدر حرمة.

في سياق الإطلاع على الأدبيات والحصول على الاحصاءات والمعلومات ذات العلاقة بدراساتي، قمت بزيارة إلى لندن زرت فيها بعض المكتبات الجامعية وأعدت زيارة الارشيف البريطاني للإطلاع على ملفات حكومة الهند ووزارة الخارجية التي تم الإفراج عنها.

كما قمت بزيارة لجامعة سسكس في برايتون للتعرف على معهد دراسات التنمية فيها ومقابلة Proressor Dudley Seers مدير المركز ودارس اقتصاديات التنمية، الذي اطلعت على بعض كتاباته ذات التوجهات التنموية التقدمية وتعرفت على اهتماماته الإنسانية.

وقد كانت زيارة معهد دراسات التنمية تلك، زيارة واجبة فتحت أمامي باب التعرف على أدبيات التنمية من أفضل منظور لها في بريطانيا. كما أتاحت لي التعرف على عدد من أعضاء هيئة تدريس المعهد وخاصة الأستاذ سيرس الذي استمرت علاقتي به بعد أن ترك ادارة المعهد في عام ١٩٧٢. أستمرت صلتني مع الاستاذ سيرس حتى ثمانينيات القرن العشرين عندما دعوته إلى قطر ليلقي محاضرة ضمن برنامج محاضرات مشروع دراسات التنمية في أقطار الخليج العربي الذي أنشأته وتوليت إدارته في جامعة قطر، قبل أن أبعده من الجامعة بأمر الامير في عام ١٩٨٢. وذلك عندما أمر بأصدر قراراً بتعيين مدير بالوكالة لمشروع دراسات التنمية الذي كنت أقوم بإدارته.

ومازلت أذكر الاسباب التي طرحها سيرس عند حديثه للأصدقاء في مجلسي، لسرعة انتشار انتفاضة بولندا التي عاد منها في ذلك الوقت. فقد قال ان بولندا قبل الاحتلال الالمانى أثناء الحرب العالمية الثانية، كان بها احزاب ونقابات عمالية ومنظمات مجتمع مدني، وبعد ضمها الى المعسكر الشرقي استمر وجود تلك المنظمات شكليا وان خفت صوتها وتراجع دورها.

لذلك عندما بدأت الانتفاضة العمالية في بولندا في ثمانينيات القرن العشرين، عادت النقابات والأحزاب الى ممارسة دورها إلى جانب الكنيسة الكاثوليكية، ومنها حزب الفلاحين ونقابات العمال وغيرها من المنظمات غير الحكومية التي كانت في حالة سكون. وهذا أعاد إلى ذهني مثل شجيرة العوسج الذي تحسبها مية عندما يجور المناخ عليها ويزيد عطشها في أشهر الصيف، ولكنها تخضر وتزهر وتثمر عند أول زخة مطر. وهذا هو المثل الذي اطلقه على العمل الوطني الصبور الذي يستمر في بيئتنا السياسية القاحلة، وأشبهه بشجيرة العوسج وقدرتها على احتمال قساوة بيئتها، فتعيش بينما يموت كثير من النبات في بيئتنا القاسية في زمن الجفاف والمحل المزمّن. وهذه الحالة تؤكد أيضا معنى القول المأثور قليل دائم خير من كثير منقطع.

في بداية الصيف خصصت لنا الجامعة شقة في سكن طلاب الدراسات العليا المتزوجين وكان عقدنا مع الأستاذ فاروق يوشك على الانتهاء، فقد حان موعد عودته من الكويت. انتقلنا إلى شقتنا الجديدة واستقر بنا المقام وبدأنا نتعرف على الجيران، وأغلبتهم العظمى من العائلات العربية. دعانا كل من علي مغرم الغامدي وناصر عثمان الصالح وزملاء آخرين إلى عشاء وتعرفنا من خلالهم إلى عدد أكبر من الزملاء منهم خالد ادريس من السودان وإبراهيم العلاوي من المملكة العربية، وعصام عبد علي (أبو علي) من العراق وعبد الله الدويهي من الكويت وعائلاتهم. وكنا قد تعرفنا إلى عدنان العقيل وعبد الجليل الغريلي من الكويت، ومن لبيبا محمد المهدي وزوجته الفاضلة الأخت فريال ان لم تخني الذاكرة. وبعد فترة لحق بنا في درم عبد المالك التميمي من الكويت وقحطان الناصري من العراق وآخرون لا تحضرني أسمائهم الكريمة.

خلال ذلك الصيف اتسعت دائرة علاقاتنا العائلية، وقمنا مع بعض الزملاء بزيارة المدن القريبة من درم، نيو كاسل وسندرنلند وسيام Seham حيث نشترى السمك بكميات كبيرة من الصيادين مباشرة ونوزعه على الزملاء في حي المتزوجين.

قمنا بزيارات أسبوعية كل سبت إلى سوث شيلد South Shield حيث بدأنا برنامجا في مسجدنا نعلم نحن وزوجاتنا من خلاله القرآن الكريم واللغة العربية لأبناء المهاجرين العرب من أصل يمني. كان أشهر المهاجرين ورئيس الجالية العربية في سوث شيلد على ما أذكر أسمه المريسي، هاجر من عدن على متن سفينة متجه إلى سوث شيلد واستقر فيها، لديه عائلة كبيرة ولا يعمل لأن معاش الضمان الاجتماعي وعلاوات أطفاله أكثر من الراتب الذي كان يمكن أن يتقاضاه لو حصل على وظيفة دائمة.

أقمنا حفلة اجتماعية بمناسبة أحد الأعياد ومنها طورنا فكرة تأسيس جمعية للطلاب العرب في درم، بدأنا برنامج محاضرات وحفلات تعارف واجتماعات للتداول حول الشؤون العربية وإعلان موقف طلابي عربي منها. كما قمنا برحلة لمنطقة البحيرات في غرب شمال إنجلترا. تمتعنا بمناظر خلابة ورحلات نهريّة عبر البحيرات، قضينا فيها عدة أيام.

خلال ذلك الصيف ربطتني علاقة طيبة مع جميع الجيران وتطورت علاقتي بشكل خاص إلى صداقة ومودة مع أخي وصديقي الحبيب عصام عبد علي (أبو علي)، علاقة لم تنقطع حتى غيبه الموت بعد احتلال العراق في ٢٠٠٣.

التحق عصام بالدراسة العليا بعد أن عمل معلما لعدة سنوات منذ تخرجه وكان مناضلا نقابيا حتى أصبح نائب نقيب المعلمين في العراق، قبل التحاقه بجامعة درم لتقديم رسالة عن حياة وأدب الشريف الرضي للحصول على درجة الدكتوراه. صحب ابو علي زوجته السيدة الفاضلة الصبور أم علي وابنته الكبرى عبير التي تبلغ من العمر حوالي ست سنوات والتي اهتمت بزحى كثيرا وتقمصت دور الام عندما نذهب سويا في رحلات معهم، وابنه علي الذي ولد بعد عبير. أما علياء وعمر فقد ولدا بعد عودته الى العراق.

ومن حسن الصدف أن يطلع الدكتور عمر عصام عبد علي على فصول من ذكرياتي هذه من خلال الفيس بوك ويتواصل معي من أوكلند في نيوزلندا، حيث يقيم مع والدته الفاضلة أم علي وشقيقته الدكتوة عبير وعائلتها، نازحين يمارس هو وشقيقته مهنة الطب هناك إلى حين عودتهم للعراق، التي ارجو من الله أن تنتهيء لها الظروف الملائمة.

جمعني مع أبو علي خط فكري وقلق شخصي حيال الهدف الذي جاء كل منا من أجله، وهو الحصول على درجة الدكتوراه. كان أبو علي من كثرة قلقه عندما يكتب مسودة فصل من فصول رسالته يأتي منه بنسخة كي احفظها عندي خشية ان يشب حريق في شفته قد يلتهم مسودات فصوله. وكنت أقول له مازحا، ألا تخشى على علي وعبير من الحريق خشيتك على مسودات فصولك، وكان يجيبني ضاحكا "نجيب غيرهم"، أما اعادة كتابة فصل وضعت فيه عصارة فكري وأقصى جهدي فلن أقوى على كتابته مرة أخرى. كان أبو علي حريصا ربما أكثر مني على أن يكمل دراسته ويعود إلى العراق.

أصبح أبو علي منذ ان تعرفت عليه أقرب الزملاء إلي فكريا ونفسيا، ونحن الاثنان شركاء في كل نشاط وكل رحلة وكل موقف، بالرغم من اختلاف وجهات النظر بيننا أحيانا، لاسيما فيما يخص ضرورة انتقال العراق إلى نظام حكم ديمقراطي. أنظر انا الى الديمقراطية باعتبارها طوق نجاة وينظر أبو علي الى الثورة في العراق باعتبارها محاطة بالعداء وعليها مهمات عاجلة يجب انجازها.

بعد ان تخرج أبو علي وعاد إلى العراق عين مدرسا في كلية الاداب بجامعة بغداد وبعد فترة عين سفيراً في وزارة الخارجية، ولكنه قبل ان يستلم منصبه عين وكيلا لوزارة التربية حيث كان عمله واهتمامه قبل الالتحاق بالدراسات العليا. وبعد ذلك عين رئيسا لجامعة الموصل ثم وزيرا لشئون رئاسة الجمهورية قبل أن يبتعد بسبب تداعيات الحرب الايرانية-العراقية ويصبح ممثل العراق في مجلس السلم العالمي، ساعيا لإيقاف تلك الحرب المسيئة للإخوة الاسلامية والعاثئة بالنسيج الوطني والمسيسة لحسن الجوار.

زارني أبو علي في قطر واحتقيت به وزرته في بغداد وكنت فردا في عائلته، ننام في الصيف على سطح بيته العامر في بغداد. تواصلت معه دائما وفي كل الظروف بالرغم من عدم زيارتي للعراق منذ غزوها للكويت، وقال لي عندما التقيت به في القاهرة في سياق تعزيز جهود إيقاف الحرب العراقية-الايرانية، أن عائلته تقول له "مادمت على وفاق مع أبي ضحى نحن مطمئنون".



(10.4) مع الصديق أبو علي عصام عبد علي (يسار) ، و الزميل عبدالله الدويهيس
و عائلتنا في رحلة الى البحيرات غرب انجلترا : صيف ١٩٧٢

جولة ميدانية لاستكمال المعلومات

مر الصيف سريعاً علينا في درم تمتعنا فيه بشبه أجازة كنا في أمس الحاجة إليها، تمتعنا بزيارة مدن مقاطعة درم وريفها الجميل، وزرنا خلالها في رحلة بسيارة الفولس واجن مدينة أدنبره وشهدنا العرض العسكري الفريد فيها الذي يسمونه Tato تصدح فيه القرب الاسكتلندية بمسيقاها العسكرية الجذابة، كما شاهدنا الكثير من العروض والمعروض خلال فترة مهرجان ادنبره.

كما أنجزت خلال أشهر الصيف ما يمكن انجازه من تحضير لكتابة رسالة الدكتوراة، وبقيت وثائق ومعلومات علي ان أحصل عليها من المنطقة قبل بدء الكتابة. وكذلك أصبحت زيارتنا للأهل في قطر بعد غياب أكثر من عام واجبة، خاصة بعد ولادة ضحى. وقد علمت بأن مؤتمر البترول العربي السابع سوف يعقد في الجزائر في خريف عام ١٩٧٢، فاضفت المشاركة فيه إلى جدول الرحلة المزدحم ليكون في ختامها.

عدنا إلى قطر عن طريق العراق رغبة في زيارة علي الغنام وعائلته. وقد استقبلنا أبو حسن وأم حسن خير استقبال وأصرنا على ان نقيم في منزلهما. كان علي قد رزق بابنته رنا ولا أذكر أن كان ابنه تميم قد ولد حينها أو بعد زيارتنا بقليل، كانت رنا قد بلغت حوالي ثلاث سنوات وقد فرحت بضحى عندما وجدت في البيت من هو أصغر سنا منها.

قضينا أياما في العراق زرنا فيها المعالم القريبة ومنها سليمان باك وإيوان كسرى. أتاحت فرصة للحديث وتبادل الرأي مع أبو حسن. وكان أصعب موضوعات النقاش هو توسيع قاعدة المشاركة السياسية في العراق، فإذا لم تكن الديمقراطية ممكنة فلا أقل من تأكيد قيام الديمقراطية داخل الحزب الحاكم والنقابات وتعزيز دور منظمات المجتمع المدني، فذلك هو مدخل وسبيل الإصلاح السياسي. لم نكن مختلفين ولكن لم نكن متفقين أيضاً، ربما بسبب اختلاف موقع كل منا. وقد لاحظ الأصدقاء ما سموه، تأثيراً ليبرالياً علي وتأثراً بالحياة في بريطانيا.

في قطر فرح الاهل من الجانبين بضحى وبعودتنا في الأجازة. سعدنا نحن بقاء الاهل والأصدقاء وتفقدنا أحوالهم. كما عرفت منهم ما حدث في قطر من تغيير، وتأثيره الآني على حياتهم المعيشية، أما المشاكل التي سببت الضيق الاقتصادي لأهل قطر في الفترة السابقة، فأنها ما زالت مستمرة ولا ينتظر ان تحل، فشحة وتردي الخدمات الاجتماعية ومشاكل انقطاع الماء والكهرباء ورداءة الطرق وتوفير فرص عمل مناسبة في المدى القصير، تحتاج إلى وقت اذا كانت هناك سياسات تهدف إلى الإصلاح.

الوقت ما زال مبكراً ولم تعكس التعديلات التي جاء بها النظام الاساسي الموقت المعدل بتاريخ ١٩٧٢/٤/١٩ أي تغيير جوهري في نظام الحكم. والوعد الذي جاء به النظام الاساسي الموقت المعدل في ديباجته بإنشاء مجلس شوري جديد يكون تشكيله بالانتخاب العام السري المباشر عند انتهاء مدة

مجلس الشورى الاول - بعد سنة من صدور النظام الاساسي المؤقت المعدل- ، لم يتم التحضير للوفاء به آن ذاك، ولم يتم الوفاء به حتى اليوم.

كما لم يؤد تحويل مخصصات الحاكم السابق إلى ميزانية الحكومة إلى تخفيض مخصصات الاسرة الحاكمة ولا مخصصات الحاكم، لأنه لم يحدد مبلغا ثابتا لمخصصات الحاكم ولم يعتبر مخصصات اسرته جزءاً من مخصصاته وبمعرفة، بل ترك الأمر لتقدير الامير في تخصيص ما يرغب في تخصيصه من الميزانية العامة لنفسه ولأسرته.

قمت بزيارة عيسى غانم الكواري مدير مكتب الامير ووزير الاعلام آنذاك في مكتبه وفقا لما وعدته به في ردي على رسالته لي بعد قيام " الحركة الصحيحة ". استقبلني الاخ عيسى بالترحيب وحدثني عن تطلعات الامير ورغبته في بناء دولة حديثة، وأنهم بصدد تكليف اثنين من أساتذة الجامعة الامريكية هما أيلي سالم وعدنان اسكندر، بدراسة أحوال الإدارة العامة وتقديم تقرير حول سبل الإصلاح وبناء الدولة في قطر، وقد تم ذلك لاحقا، وقدما تقريرا جيدا لم يوضع - كالعادة - موضع التنفيذ(١).

تفاءلت بعض الشيء بما ذكره عيسى في ضوء وعد انتخاب أعضاء مجلس الشورى بعد عام تقريبا، ولم يكن هناك مجال للمناقشة في زيارة المجاملة تلك. وقبل أن أودع عيسى قال لي أن سمو الامير قد أمر لي بتعويض مالي إلى جانب التحاق بالبعثة الدراسية في بريطانيا حتى أكمل دراستي العليا. قلت لعيسى بالنسبة للبعثة سوف أمر على وزارة التربية والتعليم، أما التعويض فلا محل له واعتذر عن قبوله.

قمت أيضا بزيارة للشيخ سحيم في وزارة الخارجية وسمعت منه ما يشير إلى نية الإصلاح والاعتماد على الكوادر القطرية بشكل عام وفي وزارة الخارجية التي يتولاها.

ذهبت إلى وزارة التربية والتعليم والتقيت محمد سالم الكواري الذي اصبح مديرا للشئون الفنية واستمعت منه الى حديث عن محاولات اصلاح الأدارة وتطوير التعليم والارتقاء بمضمونه بعد طول جمود، ولكن محمد بن سالم لم يستمر في عمله طويلا لنرى قدرته على تحقيق إصلاح في وزارة التربية والتعليم. كما اتصلت بالبعثات ورتبت أمر البعثة الدراسية لما تبقى من مدة الدراسة في بريطانيا.

كانت زيارتي لوزارة المالية وأتصالي خاصة بعبد القادر القاضي مدير إدارة المالية، هي المهمة الرئيسية لي من أجل الحصول على ما يمكن الحصول عليه من حسابات ختامية للميزانية العامة وحساب الاحتياطي العام للدولة، مدققين. ومن خلال تعاون موظفي وزارة المالية وجدت ضالتي في جو من التفهم والرغبة في المساعدة، الامر الذي سهل لي الاطلاع على الحسابات الختامية للفترة من ١٩٦٦-١٩٧٠. وهذا اقصى ما حصلت عليه وكنت قد حصلت على حسابات الفترة من ١٩٥٠-١٩٥٢ في درم وبالتالي لدي عينة جيدة من ثمان سنوات في فترتين زمنيتين متباعدتين.

قمت بزيارة إلى أبو ظبي والتقيت في أبو ظبي بالصديق الحميم أحمد عبد الله المنصور الذي اصبح وكيلا لوزارة التخطيط الاتحادية، كما كان هناك زميل الدراسة أحمد خليفة السويدي الذي اصبح وزيرا للخارجية وعدد من الأصدقاء.

زرت شركة ابو ظبي الوطنية واداره المالية في حكومة أبو ظبي إضافة الى وزارة التخطيط. حصلت على ما يمكنني الحصول عليه من حسابات ختامية للميزانية العامة وكانت لثلاث سنوات فقط، كما حصلت على وثائق ومطبوعات من وزارة التخطيط عن الإمارات و ابو ظبي، وكذلك من مركز الوثائق في القلعة الذي كان يقوم عليه مدير مدرستنا الابتدائية في قطر محمد مرسي.

وقد أتيت لي فرصة زيارة سيف غباش وزير الدولة للشؤون الخارجية والمثقف العائد حديثا للإمارات، وقد استمعت منه لرؤية سياسية للإمارات تركز على تصفية المشاكل العالقة مع المملكة العربية وعمان مهما كانت التنازلات، فالسلم وحسن الجوار بين دول المنطقة هو المدخل للاستقرار والتنمية كما قال سيف غباش رحمه الله، الذي قيل فيما بعد أنه أغتيل بالخطأ في مطار أبو ظبي وهو يودع عبد الحليم خدام.

قمت أيضا بزيارة دبي وكان هناك أصدقاء الدراسة في قطر، عبد الله بلهول وكيل وزارة الداخلية وجمعة بلهول وكيل وزارة الصحة وقد صحبني أحدهما لزيارة الشيخ مكتوم بن راشد ولي عهد دبي. وبعد ذلك زرت بلدية دبي والتقيت عبد الغفار حسين الذي كان مديرا لبلدية دبي، كما زرت عبد الله حميد المزروعى وعددا من زملائه في المكتب السابق لتنمية الساحل المتصالح الذي كان يعتمد عليه الانجليز في الدراسات والمشروعات الخاصة بالتنمية في امارات ساحل عمان. خرجت بحصيلة من المعلومات والوثائق وتعرفت على طموحات الشباب في مطلع قيام اتحاد الامارات العربية.

عدت إلى الدوحة لوداع الاهل قبل العودة إلى بريطانيا، وقادرتها بعد أسبوع لمواصلة جولتي شمالا.

قمت بزيارة البحرين. وفيها التقيت بعدد كبير من الاصدقاء والمعارف منهم زملاء الدراسة خالد بن احمد الخليفة الذي كان مديرا لمكتب ولي العهد آنذاك، وعلي صالح الصالح الذي اصبح عضوا بارزا في المجلس التأسيسي لوضع دستور البحرين لعام ١٩٧٣.

قمت بزيارة وزارة المالية وغيرها من الادارات والمؤسسات ذات العلاقة، وحصلت على معظم ما ينقصني من المعلومات. ولكن واجهتني صعوبة الوصول إلى حقيقة دخل البحرين من حقل أبو سعفه البحري المشترك مع المملكة العربية، حيث كانت تلك العائدات لا تظهر في الميزانية وإنما تذهب إلى الخزينة الخاصة للحاكم، وقد تمت إضافتها الى الخزينة العامة عندما صدر دستور عام ١٩٧٣ وتم تحديد مخصصات سنوية ثابتة مقطوعة لأمير البحرين قدرها ستة ملايين دينار بحريني في السنة.

علمت من الاصدقاء وأطلعت في مجلة صدى الاسبوع، على شبه محضر لمناقشات المجلس التأسيسي لوضع الدستور التي يكتبها الصحفي علي صالح، يظهر مستوى المناقشة الجادة والمسئولة التي يتم بها مناقشة مواد الدستور.

قمت بزيارة مجلة صدى الاسبوع والتقيت بصاحبها ورئيس تحريرها علي سيار والصحفي علي صالح واشتركت في المجلة من أجل متابعة تلك المناقشات الراقية المسئولة التي أدت إلى التوافق بين الحكومة والأهالي على أول وأخر دستور تعاقدي في البحرين، والذي هو حسب تقديري ما زال الدستور المناسب الذي يحسن العودة إليه والتوافق على اجراء التعديلات اللازمة عليه وفقا لميثاق العمل

الوطني، من خلال آليات دستور ١٩٧٣، وذلك من أجل حل الازمة السياسية الراهنة بين الحكومة والمعارضة. وهذا الرأي ليس بجديد فقد طرحته في محاضرة في نادي العروبة بالبحرين عام ٢٠٠١ وكتبت عنه وتحدثت حوله مع الإخوة المسؤولين في البحرين.

زرت الكويت بعد البحرين وكانت لدي توصية من الصديق والزميل في جامعة درم محمد الريمحي، للوكيل المساعد لشئون الميزانية في وزارة المالية براك المرزوق وأخرى للوكيل المساعد في وزارة التخطيط علي الموسى المسئول عن الموارد البشرية.

قمت بزيارة وزارة المالية حيث رحب بي الاخ براك المرزوق الذي أصبح فيما بعد رئيس ديوان المحاسبة، وحصلت منه على الحسابات الختامية لميزانية الكويت قبل صدور الدستور من عام ١٩٥٢ حتى ١٩٦٢، وكذلك الحسابات الختامية وتقرير ديوان المحاسبة للفترة اللاحقة على صدور دستور الكويت حتى ١٩٧٠. وأقترح علي براك المرزوق أن أزور البنك المركزي لمقابلة جاسم السعدون الذي كتب دراسة قيمة عن توزيع مخصصات الإستثمارات العامة على المستفيدين منها في الكويت ومدى العدالة في تلك السياسة.

ذهبت الى جاسم السعدون وإذا بي وكأني اعرفه منذ الطفولة، قدمني الى زملائه في البنك المركزي ومنهم زوجته الأخت العزيزة انتصار ام عبد الله والصديق عبد الرحمن الحمود. تعهدني جاسم بالعناية ودعاني إلى بيته لتناول الغداء والعشاء أكثر من مرة. بدأت بيننا صداقة قوية متصلة نادرة تألفت فيها الأرواح وتقاربت الاهتمامات بالبحث العلمي في شئون وشجون المنطقة حتى يومنا هذا.

ذهبت أيضا إلى وزارة التخطيط والتقيت علي الموسى الذي قدم لي المساعدة وزودني بالمعلومات بشكل عام، وكذلك ما يخص اللجنة المكلفة بدراسة الإدارة العامة والموارد البشرية التي يرأسها الشخصية الوطنية القومية البارزة النائب جاسم قطامي. وقد كنت متابعا لأعمال تلك اللجنة قبل وصولي للكويت لأنها توقفت عند ظاهرة البطالة المقنعة لقوة العمل المواطنة في أجهزة الحكومة وأخذت تبحث عن حلول لذلك الهدر. والصديق علي الموسى أبو هاشم الذي أصبح وزيرا للتخطيط فيما بعد، من الشخصيات الكويتية التي تقاطع نشاطي معهم من خلال منتدى التنمية الذي تأسس عام ١٩٧٩ وما زال قائما بعد ٣٦ عاما.

ذهبت مع أحد الاصدقاء إلى نادي الاستقلال لمقابلة الدكتور أحمد الخطيب والاستماع إلى حديثه الاسبوعي. وهذه المرة الاولى التي التقي فيها بأحمد الخطيب المناضل القومي العتيد. وأذكر انني دخلت معه في نقاش حول اهمية كسب الشباب في أي حركة كي تستمر وتدوم، ربما لشعوري بأن الخطيب قد أصبح نجما ورمزا لجماعته ولم يعد له كثير من الاتصال بالشباب.

قلت للخطيب أن المنظمات السياسية مثل الاشجار لا بد ان يتساقط منها ورق وتنكسر أغصان، ولذلك لا بد ان تنمو أغصان وتحل أوراق محل ما سقط، كي تترسخ جذورها في الارض وتستطيع الاستمرار بالرغم من التساقط والعطب الذي يلحقه الزمن بها. وأذكر أن أحمد الخطيب أجابني بأن ذلك هو دور الشباب وأشار لمرافقي.

وقد حصلت لي طرفة في الكويت عندما كنت اتجول في سوق المباركية، توقفت عند محلات العصفور ودخلت سائلا صبي المحل عن طيبه العصفور، هل ما زالت في الكويت؟. كنت اقصد زميلتنا في درم طيبه العصفور التي أعلم أنها في اجازة في الكويت. نظر الي صبي المحل ولم يجب وأشار إلى صاحب المحل الذي اخذ يسألني هل تعرف طيبة العصفور؟ قلت له نعم هي زميلتي في جامعة درم في بريطانيا. وهنا خفت حدة لهجة صاحب المحل وقال لي : طيبة العصفور في عائلتنا امرأة متزوجة ولديها أولاد وأنا زوجها. ادركت سوء الفهم الذي وقعت فيه واعتذرت للرجل وغادرت المحل.

سافرت من الكويت إلى بيروت للحصول على تأشيرة من السفارة الجزائرية لحضور مؤتمر البترول العربي السابع وحصلت على التأشيرة دون تأخير. وعندما وجدت أن لدي بضعة أيام قبل المؤتمر يمكن ان أفضيها في بيروت او ازور بلدا في المغرب العربي. تقدمت بطلب تأشيرة إلى السفارة التونسية وقيل لي، أن علي أن أنتظر اسبوعين على الاقل للحصول على التأشيرة لأنها لا تمنح للعرب الا بعد تدقيق من تونس وليس من السفارة. وبما أن زيارة ليبيا لا تحتاج إلى تأشيرة في أعقاب ثورة سبتمبر ١٩٦٩ قررت أن يكون توقي في ليبيا.

صادفت زيارتي لبيروت وجود الصديق خالد الربان فيها للاصطياف مع عائلته في حمانا على ما أذكر. قضيت معظم وقتي مع خالد بين الجبل وبيروت وكان خالد فرحا بأبنة حمد الذي ولد قبل ضحى ببضع سنوات، وكان خالد يحرص على رؤيتي لحمد - مفتخرا ببكره الصبي- و يظهر نفسه من باب المزاح بأنه يخشى عليه مني بسبب الجدل الذي سبقت الاشارة إليه بين من بكره بصبي ومن بكره بينت. قضينا وقتنا نناكف بعضنا مناكفة الاصدقاء أحيانا، وتحدث في معظم الاحيان حول شؤون قطر وشجونها في ضوء حيرة بين التقاتل والتشائم ببوادر "الحركة التصحيحية" التي لم تتطرق لموضوع العدالة الاجتماعية أو المشاركة السياسية أو وحدة أمارات الخليج لمواجهة المخاطر وملء الفراغ.

سافرت إلى مدينة طرابلس في ليبيا وأقمت في الفندق الكبير Grand Hotel لعدة ايام حيث يتكلم موظفو الاستقبال بالايطالية كما هو الحال في كل بلد تتطوق فنادقه بلغة المستعمر السابق. لم أقابل خلال زيارتي أحدا اعرفه من قبل ولا سعيت للاتصال بأحد ممن أعرفهم، على غير عادتي. ذهبت إلى وسط المدينة وتناقلت بين المقاهي المكتظة بعض الشيء محدثا من أجد الفة للحديث معه. وقد تعرفت على شخص لطيف اسمه نجم الدين دعوبوب في أحد المقاهي وارتحت له وكررت اللقاء به، وقبل سفري أهداني بطاقة لزقاق ٢٦ في المدينة القديمة بمناسبة "الصدافة"، وما زلت أحتفظ بتلك البطاقة حاملة ذكرى زيارتي لطرابلس الغرب.

لم أخرج من زيارتي لطرابلس الغرب بأي انطباع إيجابي عما يحدث في ليبيا بعد انقلاب القذافي الذي لم أتعاطف معه طوال فترة حكمه، كنت أعتقد أنه يسيء للعرب بطرح أهداف نبيلة مثل الوحدة العربية والاشتراكية والحرية ويقوم بنشويها عند التطبيق. وربما لذلك السبب لم أزر ليبيا بعد تلك الزيارة إلى يومنا هذا بالرغم من علاقتي الطيبة وصادقاتي مع بعض الأخوة الليبيين الكرام.

وعندما عدت إلى درم أخبرت صديقي محمد المهدي عن انطباعاتي. وسألته هل يمكن أن يساهم مع بقية أساتذة الجامعة في توعية الشعب الليبي حول خطورة الاعتماد على النفط وينتقد الاستبداد، ربما بالقدر المتواضع الذي يقوم به المثقفون في الخليج. وجاء رده قاطعا بأن ذلك مستحيل

في ليبيا لأن من يقول بغير ما يقول به القذافي يعتبر رجعيًا ويعاقب على هذا الأساس، في حين أن من يعارض في الخليج يواجه حكومات رجعية وما يطرحه يجعل منه شخصا تقدميا، وهناك فرق نفسي عظيم بين من يعاقب لأنه تقدمي ومن يعاقب لأنه رجعي.

وهذه الملاحظة الثاقبة للمهدي تفسر لنا صعوبة معارضة النظم العربية التي اعتبرت نفسها تقدمية ولم تترك للرأي الاخر فسحة من الأمل في المشاركة السياسية، حتى سقطت بعد أن ألحقت بأوطانها تشويهات في النفوس وتمزيقا لنسيجه الوطني وتزييف المفاهيم.

بعد بضعة أيام غادرت طرابلس الغرب إلى الجزائر للمشاركة في مؤتمر البترول العربي الذي شكل وعيى بأهمية النفط وفهمي لاقتصادياته وضرورة استثمار عائداته من خلال أعمال هذا المؤتمر العربي الأقتصادي الرائد، الذي مع الاسف استبدل بعد عام ١٩٧٤ بمؤتمر الطاقة العربي الذي لا يهش ولا ينش، كما يقال. ولا يفوتني أن أذكر بأنني قد تحدثت مع علي عتيقة الأمين العام للاوبك عن خطأ استبدال مؤتمر البترول بمؤتمر الطاقة. وحسب ما اذكر قال لي تلك هي ارادة معظم الدول الاعضاء في الاوبك لاسباب لم تتم مناقشتها داخل الاجتماع الذي تقرر فيع بالاتفاق مع الجامعة العربية أستبدال مؤتمر البترول العربي بمؤتمر الطاقة "العربي".

عندما انعقد مؤتمر البترول العربي عام ١٩٧٢ كانت سوق النفط سوق بائعين يتحكم فيها من يملك قرار الانتاج والتصدير، وكانت أسعار النفط قد بدأت تتحرك باتجاه ما وصلت إليه في أواخر عام ١٩٧٣، حيث زادت بحوالي ستة أضعاف عما كانت عليه في عام ١٩٧٠. كان الجدل دائرا بين مؤيدي تأميم النفط ومناصري مبدأ المشاركة مع شركات النفط العالمية في ملكية وإدارة حقول النفط.

العراق أمم شركات النفط والجزائر امت أيضا شركات النفط وبدأتا تعتمدان على شركات النفط الوطنية في إدارة حقول النفط وتسويقه عالميا. ومجلس الامة في الكويت رفض مشروع اتفاقية المشاركة بنسبة ٢٥% مع شركات النفط وطالب بنسبة أعلى.

وكان من بين حضور المؤتمر عبد الله النيباري النائب الكويتي البارز والذي كان نجم المطالبة بنسبة مشاركة أعلى في ملكية شركات النفط، أو استرداد حقول النفط من شركات النفط الاجنبية. كما كان جاسم القطامي احد رموز المعارضة في الكويت مشاركا في المؤتمر وكذلك وزير النفط الكويتي عبد المطلب الكاظمي وأيضا كان عبد الله الطريقي. واذا لم تخني الذاكرة لم يكن عبد الله الطريقي في ذلك الوقت او بعده بمدة، مؤيدا بالمطلق لتأميم شركات النفط الأجنبية، بل يدعو إلى مشاركة الحكومات معها بنسبة مؤثرة في امتلاك شركات النفط وأدارتها.

لم أكن قد تعرفت الى القطامي أو النيباري أو الكاظمي وانما تعرفت على الطريقي عندما زرته في مكتبه في بناية ستاركوا في حي الحمراء ببيروت مقر مجلته "نفط العرب" عندما كنت ادرس في سوريا، وعندما سنحت لي فرصة السلام عليهم اتجهت نحوهم وإذا بجاسم القطامي يقول للطريقي شوف، هذا واحد من ربعنا أي من الجزيرة العربية. سلمت عليهم فرحا بلقاء تلك الرموز الوطنية التي تركت بصماتها على صناعة النفط في المنطقة في ذلك الوقت وكنت قريبا منهم طوال أيام المؤتمر.

بعد انتهاء المؤتمر شاركت في رحلة إلى شرق الجزائر نظمتها الحكومة الجزائرية للراغبين من المشاركين. زرنا قسطنطينية وتعرفنا على جسورها ومبانيها ومنها مدرسة ابن باديس المشهورة بدورها الوطني في زمن الاستيطان الفرنسي، وبعد قضاء ليلة هناك اتجهنا إلى سكيكدة مقر الصناعات النفطية ومن ثم اتجهنا شرقاً إلى عنابة، وفي الطريق استضافونا في منتجع جبلي رائع مطلي باللون الابيض على قمة شاهقة في الطريق من سكيكده إلى عنابة. وكانت آخر محطات الرحلة في عنابة حيث وجدنا القوم يتحدثون العربية بلهجة اقرب إلى لهجات المشرق العربي.

لاحظنا في طريق الذهاب والإياب مساحات خضراء شاسعة قليلة الأشجار تكاد الزراعة فيها تنعدم. وعندما سألنا عن السبب وكيف تترك هذه الاراضي الزراعية دون تشجير ودون فلاحه تذكر، قيل لنا أن بعض تلك المناطق كانت غابات حرقها الفرنسيون أيام الثورة الجزائرية كي لا يتركوا للثوار مأوى، وبعضها تركت دون فلاحه بعد ان غادر المستوطنون.

والحقيقة أن الثورة الجزائرية بعد الأستغلال قد اعتمدت على النفط مثل سائر الدول العربية المصدرة للنفط، لسد حاجتها من التمويل وأقامة صناعات نفطية ومعدينية وهندسية تحت إدارة حكومية لم يستطع بعضها تحقيق معدلات أداء جيدة، وأهملت الفلاحة والنشاطات التقليدية المرتبطة بها إلى حد ما. كما أهملت إشراك القطاع الخاص الوطني في التنمية ولم تعزز جهوده وتأخذ بيده، وربما تلك هي نغمة النفط ومصيدته التي تغري الحكومات بالاعتماد علي إيراداته لأسباب سياسية وخوفا من نشوء مراكز قرار اقتصادي وطني خارج سلطتها. وذلك بدل ولوج مسار التنمية المستدامة الجاد وبناء قاعدة اقتصادية بديلة تعتمد على الدور الرائد للقطاع العام الأقتصادي والدور الدائم للقطاع الخاص الوطني والشركات المساهمة العامة.



(10.5) مع خالد الربان و ابنه حمد في شرفة مسكنهم في حمانا - لبنان : اوائل خريف ١٩٧٢



(10.5) مع بعض المشاركين في رحلة مؤتمر البترول العربي الى شرق الجزائر بعد انتهاء المؤتمر :
خريف ١٩٧٢

نيل شهادة الدكتوراة

عدت إلى درم من جولتي في المنطقة، وبدأت أرتب حصيلتي من المعلومات وقد كانت وفيرة لا ينقصها إلا بعض المعلومات التي تعتبرها الحكومات سرية، تعذر الحصول عليها ولا بد لي من القيام بتقديرها من خلال المعلوم من المعطيات.

راجعت بمساعدة الزميل عز الدين عثمان النموذج الاحصائي لمعالجة نمط تخصيص عائدات النفط في البحرين والكويت وقطر وأبو ظبي (٢). ثم بدأت استخراج الأرقام اللازمة من الحسابات الختامية للميزانيات العامة من أجل إدخالها في النموذج قبل معالجة الحاسب الآلي. وذلك من أجل تحديد نمط تخصيص عائدات النفط في كل اماره من خلال ما هو متاح من حسابات ختامية للميزانيات العامة فيها.

انتهيت من تلك المهمة المرهقة في مطلع عام ١٩٧٣. وفي ربيع ذلك العام ساعدني مختصون في قسم الحاسب الآلي بالجامعة في إدخال المتوفر من المعلومات على بطاقات النموذج الإحصائي. وقبل الصيف كانت المعلومات المتاحة قد تم تحليلها وأصبحت جاهزة بعد مراجعتها من أجل كتابة فصل عن كل اماره يحدد نمط تخصيص عائدات النفط فيها من خلال العينة المتاحة.

وفي نفس الوقت الذي كنت أصمم فيه النموذج الاحصائي وإدخال المعلومات المتاحة، أخذت اكتب الفصول الثلاثة الاولى من الرسالة مستفيدا من الاوراق التي سبق إعدادها: الأول منها حول الخليج قبل عصر النفط. والثاني حول صناعة النفط في المنطقة. والثالث يحقق ويحدد عائدات النفط التي استلمتها كل اماره. ثم بدأت أكتب الفصول الاربعه من الفصل الرابع إلى الفصل السابع الخاصة بنمط تخصيص عائدات النفط في كل اماره، واتبعتها بفصل ثامن قمت من خلاله بتحليل العوامل المؤثرة على نمط تخصيص عائدات النفط في امارات الخليج العربي.

وفي الفصل التاسع تحدثت عن انعكاس نمط تخصيص عائدات النفط في دول المنطقة على التنمية الاقتصادية فيها. وقد كانت بعض تلك الانعكاسات إيجابية ولكن أغلبها - للأسف - كانت سلبية، حذرت من استمرارها في ضوء الزيادة الكبيرة في أسعار النفط، من حوالي دولارين للبرميل في عام ١٩٧٠ إلى أكثر من ١٢ دولارا للبرميل في مطلع ١٩٧٤.

وأذكر في هذه الفترة أن الجدل كان محتدما في الغرب حول كيفية تأمين إمدادات النفط، فقد كانت هناك خشية من تخفيض الدول المصدرة لإنتاج كل منها في ضوء طاقة كل بلد مصدر على استيعاب عائدات النفط الضخمة بشكل اقتصادي منتج.

وقد أطلعت على رأيين: اولهما رأي بروفيسر لتل I.M.D Little وروبرت ما برو Robert Mabro من جامعة أكسفورد حيث كتبا مقالا في Financial Times بعنوان Coping with the Arab Billions اقترحا فيه ان تحصل الدول المصدرة على سندات مضمونة القيمة الشرائية عبر

الزمن، لأي مستوى من التصدير تتطلبه السوق العالمية في حالة وصول طاقة أحدها الاستيعابية الانية إلى مستوى لا يبرر من منظور اقتصادي، تصديرها النفط بما يلبي حاجة الدول المستهلكة.

وثانيهما كان للمشرف على رسالتي الذي يقول انه لا توجد خشية من تراجع التصدير من الدول النفطية، فتلك الدول لم تكن تصدر بقدر طاقتها الاستيعابية المنتجة في الماضي بل كانت تفتح قنوات جديدة للنفقات العامة بصرف النظر عن جدواها الاقتصادية، وفي الوقت الحاضر سوف نرى الدول المصدرة تفتح قنوات جديدة تصرف من خلالها عائدات النفط المتاحة لها في ضوء حاجة الطلب العالمي على النفط. وبذلك لا حاجة لشراء النفط بسندات مضمونة القيمة الشرائية.

وقد كانت معرفة جامعة درم العملية بطريقة اتخاذ القرار في مشيخات المنطقة، أكثر قدرة على فهم تصرفات الدول العربية المصدرة للبترو من تنبؤات اكسفورد المنطقية من الناحية النظرية، في بلدان لا يخضع إنتاج النفط فيها للمنطق الاقتصادي وإعتبارات التنمية.

ففي عام ١٩٨٢ بعد عشر سنوات من الطفرة النفطية الاولى ووفرة عائدات النفط وتراكم فوائضها، عاشت دول المنطقة ازمة اقتصادية طاحنة بسبب تراجع الطلب على صادراتها من النفط. هذا بالرغم من أن عائدات دول المنطقة من صادرات النفط عام ١٩٨٢ كانت أضعافاً مضاعفة من عائداتها في عام ١٩٧٢، لكن التوسع في قنوات صرف عادات النفط، لم يكن يخضع لإعتبارات الجدوى الاقتصادية لإنتاج النفط عبر الزمن في ضوء القدرة على أستيعاب عائداته بشكل اقتصادي منتج.

انعكست تلك الهموم والآراء حول علاقة النفط بالتنمية المستدامة في خلاصة رسالتي في الفصل العاشر والذي جاء تحت عنوان: "خلاصة : الحاجة الى طريق جديدة".

ولا يتسع المجال هنا للحديث عن ما خرجت به الرسالة حول نمط تخصيص عائدات النفط في دول المنطقة وإعادة ذكر الهدر الكبير الذي صاحب ذلك النمط المتحيز اجتماعيا للاستهلاك على حساب الانتاج والذي يتصف بقدر كبير من سوء التوزيع وعدم العدالة والإنصاف في الحاضر وبين الأجيال المتعاقبة.

وأحيل المهتم إلى الرسالة نفسها والكتاب الذي أصدرته جامعة درم بالتعاون مع ناشر عالمي نشره في بريطانيا والولايات المتحدة الامريكية عام ١٩٧٨، وقد جاء به ما توصلت إليه في الرسالة من نتائج (٣).

وجدير بالذكر أن هذا الكتاب متوفر في مكتبة كل جامعة تقريبا في بريطانيا وأمريكا ولكنه لا يوجد في مكتبات جامعات دول الخليج حسب علمي، ولم يقترح علي ناشر عربي ترجمته للعربية لأنه يعرف مسبقا بأنه سيكون ممنوعا في دول الخليج.

ولا يفوتني أن أذكر بأنني خلال فترة كتابتي للرسالة تعرفت على يوسف الفاضل الصباح واطلعت على أطروحته للدكتوراه التي نالها من

Fletcher School of Law and Diplomacy, Tufts University, USA

وقد كانت رسالة يوسف الفاضل تلمس بروح نقدية أوضاع النفط في المنطقة وتشير إلى طغيان اعتبارات الاستهلاك على اعتبارات الانتاج والتنمية. وقد التقيت الاخ يوسف واعجبت بشخصيته وأطروحاته وتأثرت بها. ومما يؤسف له أنني منذ فترة طويلة لم اسمع عن الدكتور يوسف الذي كنت اتوقع ان يتبوأ مكانا مرموقا في الكويت وقد علمت مؤخرا أنه اعتزل مبكرا الحياة الوظيفية.

وإذا كان لي ان أذكر شيئا عن حياتنا الاجتماعية في درم خلال تلك الفترة، فحياتنا كانت امتدادا للفترة السابقة في درم. ولائم ورحلات ولقاءات ونشاطات اجتماعية وثقافية من خلال الجمعية العربية، مع بقية طلاب الدراسات العليا العرب في درم.

وزاد عليها اهتمامي بالرياضة واتفاقي مع ناصر عثمان الصالح من الرياض على ان نلعب التنس على ملاعب الجامعة. وحتى لا نتراجع، قررنا شراء مضارب وملابس رياضية مناسبة للعبة غالية الثمن، ومن ثم بدأنا التدريب ثم اللعب سويا. كانت المشكلة بيننا هي عد النقاط فهناك ميل للمغالطة من قبل الطرفين، لذلك اخترنا حصيات صغيرات نحسب بها ما يسجله كل منا من نقط وأشواط. وقد استمرت مناقفة بعضنا البعض على الحساب، لان أياً منا لا يود أن يعترف بأنه مغلوب.

وناصر عثمان الصالح من الأصدقاء الشخصيين عائليا، تعرفنا الى زوجته السيدة الفاضلة نورة المقرن من مدينة الاحساء كما تعرفنا الى عائلتها، والدها العم محمد المقرن وشقيقتها منيرة وشقيقها أحمد صاحب مزارع النخيل في الاحساء، الذي لم يتردد عندما علم أنني اطور مزرعة في قطر بعد عودتي في ارسال فسانل من نخل الخلاص وأخرى منتقاة من أفضل تمر الاحساء لأزرعها، وهي اليوم اساس حقل النخيل في مزرعة الباحة التي املكها في قطر وتشكل متنفسا لي ولمن يحب صحبتي.

خلال هذه الفترة زارنا عدد من الأصدقاء من قطر أذكر منهم احمد الخال وعلي حسن الخلف وفهد بن فهد خاطر وعيسى سعد الكواري وعبدالله جمعة الكبيسي الذي جاء إلى بريطانيا من أجل الدراسة العليا. وقد رتبت له لقاء عن طريق الزميل عبد الله زروق من ليبيا في دائرة التربية مع مشرفه. وقد تم قبول عبد الله بن جمعة وبدأ الدراسة العليا في درم في الوقت الذي غادرت فيه، ومن خلاله التحق بدرم عدد من طلاب الدراسات العليا القطريين منهم شيخة المسند مديرة جامعة قطر ومحمد علي الكبيسي.

بعد أن اكتملت مسودة الرسالة وقمت بمراجعة فصولها العشرة مع المشرف وأعدت تنقيحها، دفعت بالمخطوطة إلى محرر لغوي ليقوم بتصحيحها دون التدخل في الموضوع. واستفدت من فرصة المراجعة لأقوم في مطلع عام ١٩٧٤ بزيارة إلى قطر بمناسبة الذكرى الثانية لميلاد ضحى، حيث احتفى بها الاهل من الطرفين وأقمنا حفلة في روضة الحائر غرب عذبة شمال شرق قطر حضرها الوالد وشقيقي يوسف وجميع الاهل، في لمة جميلة حميمة جمعت الصغار والكبار.

وفي طريق عودتنا إلى بريطانيا قمنت برحلة سياحية مع زوجتي وضحى إلى أسبانيا زرنا فيها الأندلس. سكنا في قرية سياحية اسمها ترمودس على ساحل البحر، قريبة من ملقا وقمنا بزيارة أشبيلية وغرناطة حيث أخذنا بعظمة العمارة الاسلامية خاصة قصر الحمراء وحدائق الخلفاء في القصر،

وقصور اشبيلية التي عبرت عن اوج الحضارة العربية الاسلامية في الاندلس وبداية انهيارها نتيجة البذخ والانغماس في ملذات الحياة الفانية التي صرفتهم عن مواجهة المخاطر المحيطة بدولتهم بعد ان تفككت إلى دول طوائف عاجزة عن الدفاع عن نفسها.

عدنا إلى درم وكان أول شيء قمت به هو الاتصال بحسن نعمة في كمبرج لأخبره أنني سوف أقدم رسالتي للامتحان النهائي بعد حوالي ستة أشهر، وعليه أن يسرع الخطى ويقدم رسالته قبلي كي يكون أول قطري يحصل على شهادة دكتوراة في الفلسفة. فحسن سبقتي في الدراسة العليا بسنة ومضى عليه أربع سنوات وله الأولوية. رد علي حسن قائلاً لست بمستعجل مثلك ولك ان تطوف، فأمامي اكثر من سنة كي انهي رسالتي وربما أكثر ان استطعت.

راجعت مخطوطة الرسالة مع المصحح اللغوي ودفعت بالمخطوطة للطباعة النهائية وراجعت الطباعة حتى رضيت عن الرسالة، فتقدمت بها الى المشرف من أجل تحديد موعد الامتحان الشفهي. تحدد موعد الامتحان في ٣ سبتمبر ١٩٧٤ وكان الممتحن الخارجي استاذ من جامعة ابردين في أسكوتلندا مقر صناعة النفط والممتحن الداخلي بروفسر كلارك من جامعة درم.

وبعد مناقشة دامت زهاء ساعتين غادرت القاعة لأعلم من المشرف فيما بعد باجتيازي الامتحان وترشيحي لنيل درجة الدكتوراة. وبذلك أصبحت أول من حصل على درجة الدكتوراة في الفلسفة من القطريين بعد أن أذن لي حسن نعمة مشكوراً.

كانت الرسالة تقع في ٣٣٣ صفحة وحدد موعد الامتحان في ٣ سبتمبر ١٩٧٤ وهو نفس اليوم الذي تم فيه قبولي في جامعة درم بعد ثلاث سنوات بالتمام والكمال.

بعد مدة عقد حفل التخرج الذي حضره شقيقي يوسف والأصدقاء الاعزاء أحمد الخال وحسن نعمة وخالد الربان وعبد الله الكبيسي، زملاء نادي الطليعة وأعز الاصدقاء.

وبحصولي على درجة الدكتوراه وتحقيق الهدف الاستراتيجي الذي وضعت له نفسي عندما تم إغلاق نادي الطليعة عام ١٩٦١، أختتم الجزء الاول من ذكرياتي "أوضاع قطر وأحوال أهلها" في الفترة من ١٩٥٣ عندما ودعت الغاربية إلى عالم أوسع، حتى عام ١٩٧٤ قبل ان التحق بقطاع النفط في قطر وأبدأ مرحلة أخرى من حياتي.

الدوحة ١٥-٢-٢٠١٥

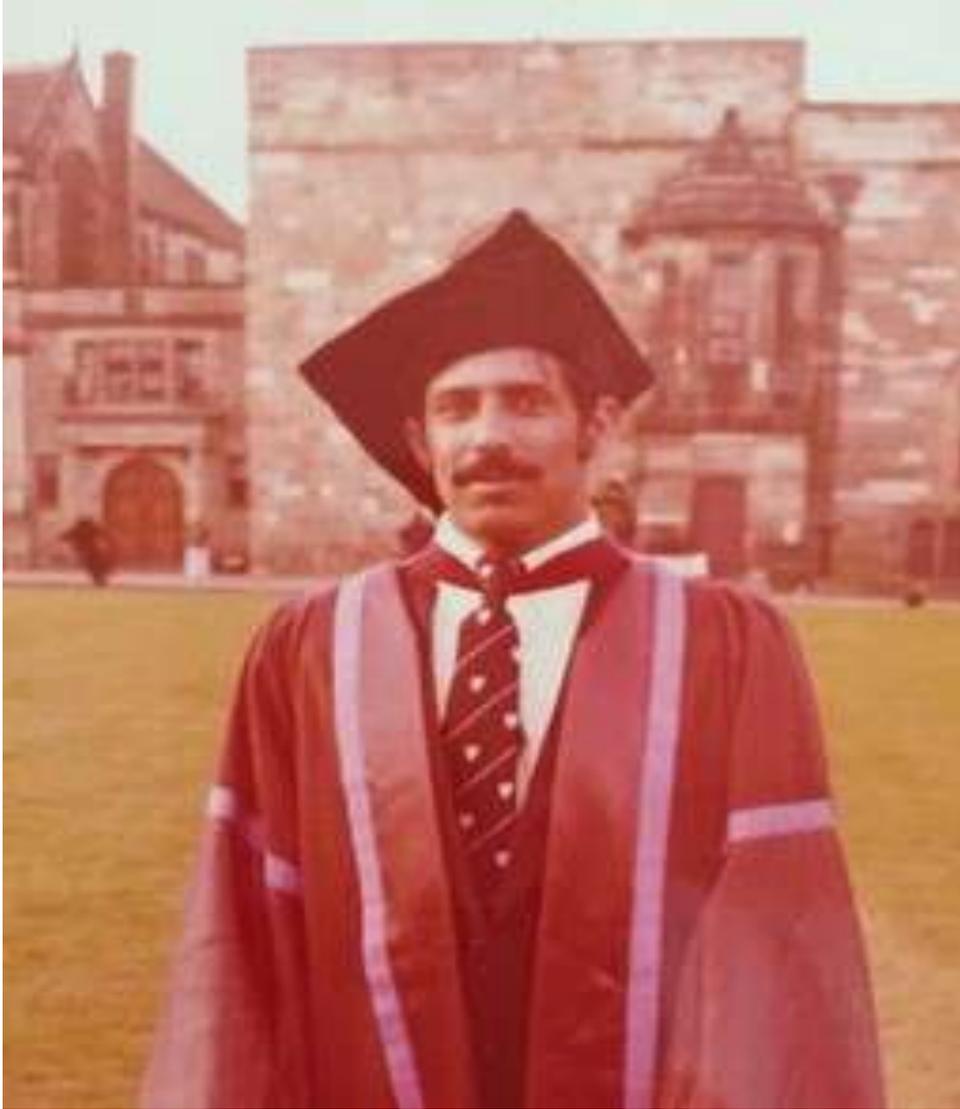
علي خليفه الكواري



(10.6) مع ابنتي ضحى في ساحة الطرف الأغر بلندن : اواخر عام ١٩٧٣



(10.6) والدي الحبيب خليفه بن علي وشقيقي العزيز يوسف بن خليفة يحتفون مع الامل بضحى في عيد ميلادها الثاني في روضة الحابر - شمال قطر :شطاء ١٩٧٤



(10.6) صورتي في حفل تخرج الدكتوراة بجامعة درم اواخر عام ١٩٧٤



(10.6) في حفل تخرج الدكتوراة بجامعة درم مع شقيقي يوسف بن خليفه و الاصدقاء خالد
الربان ، حسن النعمة و احمد الخال : شتاء ١٩٧٤



(10.6) في حفل تخرج الدكتوراة بجامعة درم مع شقيقي يوسف بن خليفة و الاصدقاء حسن النعمة ،
عبدالله الكبيسي ، خالد دريس و احمد الخال : شتاء ١٩٧٤

ايضاحات

١- علي خليفه الكواري، تنمية للضياع! أم ضياع لفرص التنمية؟، مركز دراسات الوحدة العربية، بيروت، طبعة ثانية ١٩٩٦. ص ١٨١-١٨٩.

-٢

٣- Ali Khalifa Al-Kuwari, Oil Revenues of the Arabian Gulf Emirates

-٤

http://etheses.dur.ac.uk/8012/1/8012_5012.PDF?+UkUDh:CyT

, PP.107-113.

٥- Ibid., See Also: Ali Khalifa Al-Kuwari, Oil Revenues in the Gulf Emirayes, Westview Press/Boulder,Colorado, Frederick A. Praeger, Publisher, 1978.